

ابن الرومي وشعره

أيها السادة:

الحديث عن ابن الرومي يخالف الأحاديث عن غيره من الشعراء، حاشا أبا تمام؛ ومصدر هذا ما تجدونه في الكتب العربية قديمها وحديثها من أن أصل هذا الشاعر يوناني صريح لا يحتمل شكًا ولا خوفًا، وأن ابن الرومي كان قريبًا جدًا من أصله اليوناني لم يبعد العهد به، فلم تضعف وراثته، ولم يتأثر كثيرًا بوراثات أخرى، فهو إذا بطبيعته وفنه مخالف كل المخالفة لكثرة الشعراء الذين عرفناهم في القرون الأولى للهجرة.

مولده ووفاته

حياة ابن الرومي كحياة غيره من الشعراء المعاصرين مجهولة أو كالمجهولة، فنحن نعلم أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين، وأنه مات بين سنة ست وسبعين ومائتين وسنة أربع وثمانين ومائتين ونحن نعلم أنه ماشت مسمومًا، وأن الذي سمه أو أمر من سمه هو القاسم بن عبد الله وزير المعتضد، كان يكرهه ويشفق منه فأغرى به من أطعمه شيئًا فيه السم.

شيء عنه

ونحن نعلم أنه كان شيء الحظ في حياته، لم يكن محبوبًا إلى الناس وإنما كان بغيضًا إليهم وكان محسدًا أيضًا. ولم يكن أمره مقصورًا على سوء حظه، بل ربما كان سوء حظه من سوء طبيعته، فقد كان حاد المزاج مضطربه معتل الطبع ضعيف الأعصاب، حاد الحس جدًا يكاد يبلغ من ذلك بالإسراف. وكان هذا كله قد أعطاه من الحياة صورة رديئة من ناحية، ومحبة من ناحية أخرى. كان اضطراب مزاجه يبعث إليه الناس ويسئ رأيه فيهم، ولكن قوة حسه ورقة طبعه كانت تحبب إليه كل اللذات. فكان يجمع بين الخصلتين. فهو رجل يجب اللذة ويسرف

فيها ويتهالك عليها. فه إذا محب للحياة أشد الحب، وهو في الوقت نفسه مبغض للأحياء قبيح الرأي فيهم، يتبرم بهم أشد التبرم، ويود لو استطاع أن يتخلص منهم. أما الأحياء فكانوا يبغضونه كما كان يبغضهم. وأما الحياة فلست أدرى أكانت تحبه أم كانت تبغضه؟ ولكن الشيء الذي لا شك فيه أنه أخذ من اللذات بحظ لا باس به، ولعله أسرف في ذلك فضاعف ما كان يجده من ألم، وضاعف ما أن في أعصابه من اضطراب، وفي مزاجه من فساد.

وكلكم يعلم ما يتحدث به الناس عن ابن الرومي من أنه كان يتطير ويسرف في الطيرة، حتى كان ذلك يؤثر في حياته ومزاجه تأثيراً شديداً، وكان يضطره إلى أن يلزم بيته أياماً لا يخرج؛ إما لأنه رأي جاره الأحب، أو لأنه سمع صاحباً له، هو على بن سليمان الأخفش، عبث به مرة كعادته، فمر عليه في الصباح فدق الباب. فإذا قيل: من الطارق؟ أجاب؛ مرة بن حنظلة، فتشام بهذا الاسم وأقسم لا يخرج. وإن هذا يضطره أن يعذب نفسه ويعذب من معه.

هذا أكثر أو كل ما نعرفه عن ابن الرومي، وهو كما ترون ليس بالشيء الكثير، بل نحن نعرف شيئاً آخر وهو أن سوء حظ ابن الرومي لم يلزمه في حياته فحسب، بل لزمه بعد موته. فديوان ابن الرومي من أكبر دواوين الشعر العربي، بل لعله أكبرها وأضخمها وهو أقلها انتشاراً، ولعله لم يطبع إلى الآن، بل لم يطبع إلا جزء صغير ومختارات اختارها كاتب أديب من هذا الديوان، هو الأستاذ "كامل كيلاني" فهو إذن سيء الحظ في حياته وبعد موته. ويقال إن تشاؤمه وتطيره قد أصاب ديوانه أيضاً فيم يعرض له أحد إلا أصابه شيء.

وبعض الناس يتندر بذلك لأن الأستاذ العقاد أراد أن يكتب عنه فسجن، وأرجو ألا تكون محاضرتنا عنه مصدر شيء من هذه الشيء التي أعيدكم بها أنتم إن لم أعذ منها نفسي.

هو وأبو تمام

قلت إن ابن الرومي يخالف غيره من الشعراء الذين عاصروه أو جاءوا قبله، إلا واحداً هو أبو تمام، وذلك أن طبيعة أبي تمام الشعرية مشبهة لطبيعة ابن الرومي من وجوه، فهما متفقان من حيث إنهما يعتمدان اعتماداً شديداً جداً على العقل في شعرهما، وهما لا يستسلمان للخيال وحده، وإنما يتخذان الخيال وسيلة إلى تحقيق ما يريده العقل. وهما يتفقان في أنهما حريصان كل الحرص على تعمق المعاني وعلى استيفائها. واستقصائها، والمبالغة في هذا الاستقصاء حتى يأتيا بالأشياء الغريبة التي يضيق بها الناس الذين تعودوا أن يقرءوا المألوف من الشعر، وهما لا يرضيان أن يكون أحدهما عبداً للغة، وإنما يبيحان لنفسيهما تصريفها كما يريدان وكما تريد المعاني، دون أن يخضعا للتشدد في أصولها ومراعاة قواعدها؛ يتفقان في هذا كله،

ويختلفان بعد ذلك بعض الاختلاف. فأبو تمام أحرص جدًا من ابن الرومي على متانة اللفظ وروعته في أغلب شعره، لا يعدل عن هذه المتانة ولا ينصرف عن هذه الروعة إلا حين يضطره المعنى إلى ذلك اضطرارًا لا مخرج له منه. أما ابن الرومي فهو سهل في شعره لا يريد أن يشق على نفسه وعلى سامعيه، وهو يرسل لسانه على سجيته كما يرسل نفسه على سجيته. فهو من أقل الشعراء كلفًا بالغريب وإيرادًا له، وعنايته بالجمال اللفظي قد تحس أحيانًا، ولكنها تلتبس فلا توجد في كثير من الأحيان. وقد تروّعك سهولة اللفظ في البيت أو البيتين، ولكنك لا تستطيع أن تقرأ قصيدة كاملة دون أن تجد في هذه القصيدة من الألفاظ ما يغيظك أحيانًا، ويضيق به صدرك أحيانًا أخرى.

ثم هما يختلفان من ناحية أخرى في أن ابا تمام كان شديد الحرص على البديع والمحسنات البديعية، أو بعبارة أصح كان شديد الحرص على جمال الصنعة الفنية في الشعر. فهو كان يتتبع الاستعارة، ويسرف في تتبعها، ويجد ما استطاع في طلب الجناس والمطابقة، وما إلى هذه الأنواع من المحسنات البديعية. هو كان يجد في هذه الأشياء جمالًا لا بد منه، وكان يحرص على أن يلائم بين جمال الألفاظ وجمال المعاني.

ابن الرومي فهو لا يتحرج من البديع، ولكنه لا يتهالك عليه. وكما أنه لا يكلف بالغريب ولا يتكلف متانة اللفظ ولا جزالته ولا رصانته، فهو كذلك لا يكلف بهذا الطباق أو الجناس؛ إن وفق إلى هذه الأشياء فذاك، وإن لم يوفق فلا يعنيه.

وهما يختلفان من ناحية ثالثة، فأبو تمام شاعر من الشعراء، قصائده متوسطة لا تسرف في الطول، وله مقطوعات.

أما ابن الرومي فشاعر مطيل ومطيل جدًا، يبلغ بقصيدته المئات من الأبيات. وهذا الاختلاف بين الشاعرين في إطالة القصيدة مصدره واضح جدًا، وهو أن الشاعرين وإن اتفقا في الغوص في المعاني، فهما يختلفان في مقدار هذا الغوص، أو بعبارة أدق، في مقدار البسط والتفصيل في المعاني التي يظفران بها. أما أبو تمام فهو يبحث عن المعنى ويجد في التماسه ويظفر به ويعرضه عليك عرضًا متوسطًا، لا يطيل فيه ولا يسرف، بل في نفسه شيء من الاحترام لك والاعتراف بأن لك عقلًا يستطيع أن يتم ما لم يتمه هو، والاطمئنان إلى أنك ستتم هذا المعنى إتمامًا حسنًا دون أن تقصر أو دون أن تغلو، فهو إذن يفصل المعنى، ولكنه لا يسرف في التفصيل، ويهمل الزوائد ويتجافى عن الأطراف.

أما ابن الرومي فالأمر في شعره ليس كذلك، فهو يمضي مع أبي تمام في الغوص على المعنى والتفتيش والجد في طلبه حتى يبلغ المعنى الجيد، فإذا ظفر بهذا المعنى ساء ظنه بالناس

في الأدب، كما يسوء ظنه بهم في الحياة العملية. فكما أنه كان يعتقد أن الناس ليسوا أخياراً في معاملتهم، فهو كذلك كان يعتقد أن حظ الناس من الذكاء ليس بحيث يمكنه من أن يطمئن إليه في فهم المعاني. فهو إذن حريص على أن يتم معانيه بنفسه، ويستقصي البحث والعرض حتى لا يتعرض لأي عبث من الذين يسمعون أو يقرءونه ومن هنا كان المعنى الذي يستطيع أبو تمام أن يعرضه في بيتين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة - على أكثر تقدير - يطيل فيه ابن الرومي في الأبيات التي تبلغ العشرة أو تتجاوزها. ومصدر هذا كما قلت هو أخذ أبي تمام بهما لا بد منه، وثقته بعقل الناس، وحرص ابن الرومي على أن يصل إلى كل شيء، وعدم اطمئنانه إلى الذين يسمعون أو يقرءونه.

هل أقول أيضاً إن علم أبي تمام باللغة العربية والأدب العربي كان أوسع وأعمق من علم ابن الرومي بهذه اللغة وهذا الأدب؟ الواقع أن القدماء قد اتهموا أبا تمام بالسرقة، لأنه كان كثير الرواية للشعر يطيل النظر فيه، وظنوا أنه أسرف في استغلاله. ولست أدري أكان هذا حقاً؟ ولكن الذي لا شك فيه أن إطالة الرواية وإطالة النظر في أشعار القدماء قد أثرت في فظ أبي تمام فجعلته من أرصن ألفاظ الشعراء في عصره، بينما ابن الرومي لم يعرف عنه تعمق كتعمق أبي تمام في الرواية، ولا في اللغة؛ وإنما كان حظه من هذا كحظ غيره من الشعراء الذين عاصرون. فهو إذن لا يمتاز بكثرة الرواية كما امتاز البحترى وأبو تمام. فليس غريباً أن يظهر أثر هذا في شعره، وأن يكون شعره من أسهل الشعر الذي نعرفه في القرن الثالث للهجرة.

لفظ ابن الرومي غير متين، بل ربما كانت الجزالة والرصانة فيه نادرة، وشعره في هذا الناحية أقرب إلى النثر منه إلى الشعر، قريب إلى النثر من ناحيتين: إحداها تعمد التفصيل والبسط والإجادة في أداء المعاني التي يريد أن يؤديها. فالذي نعرفه - لا في اللغة العربية وحدها بل في اللغات على اختلافها - أن الشعراء ليسوا في حاجة إلى الإطناب، ولا في حاجة إلى التفصيل الشديد، وأن الجمال الشعري ربما اعتمد على الإيجاز دون التفصيل، أو "اللمحة الدالة" كما يقولون. أما التفصيل والبسط والتطويل فهو من خصائص النثر ومن مزاياه. في هذه الجهة - جهة التفصيل والإطالة - ربما فسد شعر ابن الرومي بعض الشيء، لأن الشعر كما قلت لكم لا يحتاج إلى كل هذه الإطالة ولا إلى هذا التفصيل الذي أمل القدماء، والذي أمل ابن الرومي نفسه، واضطره أن يعتذر في بعض قصائده من الإطالة.

الشعر لا يحتمل هذه الإطالة في المعاني الغنائية، وهو إذا احتمله في القصص فقل أن يحتمله في غيره.

وأما الناحية الأخرى التي تقرب شعر ابن الرومي من النثر فهو هذه السهولة في اللفظ والإعراض عن التجويد اللفظي. فابن الرومي يبلغ من ذلك ما يريد أحياناً، ولكنه لا يريد هذه

الإجادة في كثر من الأحيان. ويكفي أن تقرعوا قصيدة لابن الرومي فسترون فيها متانة عارضة، ولكنكم سترون فيها شيئاً يشبه العلة الدائمة في شعر ابن الرومي، وهو هذا اللفظ الذي يقرب من أذهان الناس جميعاً حتى يكاد يبلغ حد الابتذال.

خصائص شعر ابن الرومي

بعد هذه المقارن السريعة بين شعر ابن الرومي وأبي تمام بوجه عام. أريد أن ألفتكم إلى الخصائص التي تميز شعر ابن الرومي من الشعر العربي عامة، والتي تظهر فيها آثار طبيعته اليونانية وآثار ثقافته اليونانية. فقد يكون من الحق علينا أيضاً ألا نغلو في إضافة خصائص ابن الرومي إلى طبيعة جنسه اليوناني أو إلى الوراثة اليونانية فيه، بل قد يكون من الحق أن نلاحظ أن التأثير اليوناني في شعر ابن الرومي، إن عاد إلى الوراثة فهو في الوقت نفسه يعود إلى الثقافة اليونانية الإسلامية.

لسنا نعرف أكان ابن الرومي يحسن اليونانية أم لا؟ وليست هناك نصوص تدلنا على أنه كان يعرف هذه اللغة معرفة تمكنه من أن يتصل بالآداب اليونانية مباشرة.

وابن الرومي ليس يونانياً خالصاً، ولكنه يوناني من ناحية، وفارسي من ناحية أخرى. فإذا كان أبوه أو جده يونانياً فأمه فارسية. وإن فالطبيعة الخاصة التي تؤثر فيه ليست هي الطبيعة اليونانية الخالصة، ولا الطبيعة الفارسية الخالصة، إنما هي الطبيعة المختلطة. وإنما الذي كون عقله وملكوته الشعرية هي ثقافته. وهذه الثقافة فيما يظهر كانت متأثرة جداً بما عرفه المسلمون من الثقافات الأجنبية والعربية، وكانت في الوقت نفسه ثقافة عربية إسلامية. فهو على حظ لا بأس به من العلم بالعربية ولغتها، وهو على حظ لا بأس به من الدين الإسلامي وأحكامه، وحظ عظيم مما كان يعرفه الرجل المثقف من علوم اليونان غير الإسلامية.

وأن أضيف تكوين عقل ابن الرومي إلى الثقافة الإسلامية اليونانية أكثر مما أضيفه إلى وراثته اليونانية. ومن المحقق أن اجتماع الثقافة إلى تلك الوراثة هو الذي كون هذه الطبيعة الخاصة التي نجدها في شعر ابن الرومي.

نظرة ابن الرومي إلى الأشياء، ونظرته إلى الطبيعة، وتفكيره فيما يفكر فيه من المعاني، كال هذا يخالف المؤلف عند الشعراء المتقدمين والمعاصرين، إلا في شعر ابن الرومي كما قلت لكم.

ابن الرومي كان قوى الخيال جداً، وكان خياله بعيداً ليس بالقريب، وكان حاد الحسناً جداً. وكان قوى الشعور، فكان إذا ألم بمعنى من المعاني تأثر به تأثراً واضحاً. وربما كان أسحن

ما يصور لنا خاصية ابن الرومي، أو خصائصه في الشعر، أن نقف وقفة قصيرة عند شيء من شعره لنرى أنه كان يمتاز من الذين عاصروه ومن الذين تقدموه.

ما عيب على أبي تمام والرومي

قبل أن أقف عند شيء من هذا الشعر، أريد أن ألفتكم إلى نوع من النقد وجهه إلى أبي تمام كما وجهه إلى ابن الرومي. ذلك هو أن أبا تمام كان يضيف إلى الأشياء صفات ليس من المعقول أن تضاف إليها. فهو ينكرون مثلاً على أبي تمام أنه كان يشخص؛ فهو كان يجعل للدهر أصدقاء، وكان يجعل الدهر طويلاً عريضاً وكان يجعل الدهر شيئاً يركب، وكان يصور هذه المعاني كما تصور الأشخاص. كان يتحدث إليها كما يتحدث إلى الأشخاص والكائنات الحية، ويضيف إليها من الأوصاف ما لا يضاف إلا إلى الأشخاص أيضاً. هذا النقد وجهه إلى أبي تمام وأسرف الآمدي وعر الآمدي في أخذه به، وزعموا حين نقدوا أبا تمام أن هذا النوع من الاستعارة وجد عند المتقدمين، ولكن أقل جداً مما وجد عند أبي تمام.

هذا العيب - إن كان عيباً - يوجد عند ابن الرومي أكثر جداً مما يوجد عند غبي تمام للسبب الذي قدمته، وهو أن وقوف ابن الرومي عند المعاني أطول جداً من وقوف أبي تمام عند هذه المعاني. ومتى كان الأمر كذلك، فطول وقوف ابن الرومي عند المعاني يضطره إلى أن يطيل النظر فيها، فهو يتصرف فيها ويعبث بها أكثر مما كان أبو تمام يتصرف في معانيه. وإذا كان أبو تمام قد استطاع أن يجعل للدهر أصدقاء، أن يجعله طويلاً وعريضاً، فإن ابن الرومي قد فعل ما هو أكثر من ذلك؛ فابن الرومي قد تصور هذه المعاني على أنها أشخاص، ووقف هذه الأشخاص منه موقف المتحدث الذي يخاصمه ويطيل معه الخصومة، فهو أجرى في معانيه حياة وحركة من شأنها ألا تجري إلا في الكائنات الحية. ثم لم يكتف بذلك بل جعل هذه المعاني عقولاً تفكر وتقاضي. فهو إذن قد جعل معاني أشخاصاً من الناس وجعلها تفكر وتناقش على أصول المنطق. وهو إذن قد جعل معانيه كأنها أشخاص من الناس، وجعل الحياة ملعباً أو مسرحاً من مسارح التمثيل، وجعل هذه المعاني هي الأشخاص أو أبطال القصة. هذا النحو من التفكير وهذا النحو من معالجة المعاني، وإجراء التفكير فيما ليس من شأنه أن يفكر، وإطالة هذا التفكير وهذا الحوار من الأشياء التي تدل على أنها نتيجة من نتائج الطبيعة والثقافة اليونانية عند أبي تمام وابن الرومي، وهي هذه الطبيعة التي أنشأت فن التمثيل عند اليونان، والتي لم تستطع أن تتصور الشعر الغنائي نفسه كما تصوره العرب على أنه مجرد التعبير عن الآراء المختلفة والميول المتباينة، وإنما اضطرت إلى أن تثبت الحركة، واضطرت إلى أن يكون غناؤها نفسها تمثيلاً، وأن يتكلف غير واحد إنشاد الشعر الغنائي. فالشعر الغنائي عند اليونان لم يكن في

أول الأمر يستقل بإنشاده شاعر واحد، وإنما كان يشاركه في ذلك شاعر آخر، ويستعين بالمغنين والموقعين.

هذا النوع من الكثرة أو من التعديد، أو من إيجاد المغامرة الظاهرة جدًا بين الفرد الذي يتأثر بالمعاني ويحس العواطف، هذا النوع من التفكير هو الذي يميز ابن الرومي وأبا تمام من الشعراء الذين تقدموها أو عاصروهما.

قصيدته في عتاب الشطرنجي

ويكفي لأجل أن تفهموا هذا النوع أن تنظروا إلى هذه القصيدة التي يعاتب بها صاحبه وصديقه أبا القاسم الشطرنجي، انظروا إليه كيف يبدأ هذه القصيدة، وكيف يكون من الخصال السيئة التي استكشفها عند صاحبه جماعة من الأشخاص يتحدث إليهم ويتحدثون إليه:

يا أخي أين ريع ذاك اللقاء؟ أين ما كان بيننا من صفاء؟

أين مصداق شاهد كان يحكي أنك المخلص الصحيح الإخاء؟

شاهد ما رأيت فعلك إلا غير ما شاهد له بالذكاء

كشفت منك حاجتي هنوات غطيت برهة بحسن اللقاء

هذه الهنوات التي كشفتها حاجته عند صاحبه، وهي التي سيشرحها ابن الرومي، وسيأخذ منها جماعة يسبغ عليهن ثوب النساء، وسيتحدث إليهن وسيكون بينه وبينهن حوار لو اتسعت اللغة العربية له لكان كالحوار التمثيلي، ولكنها لم تكن تتسع له في ذلك العصر، فلم يسعه إلا أن يقول "قلت، وقلن" أي أن يحدث بينه وبينهن سؤالاً وجواباً "قلن، وقلن".

تركتني ولم أكن سيء الظن ن أسوء الظنون بالأصدقاء

أنظروا أولاً إلى "الظن" و "الظنون" وإلى تكرار هذا اللفظ مفرداً في الشطر الأول وجمعاً في الشطر الثاني، فهو يحدث لنا موسيقى كالبحتري حين كان يكرر الألفاظ، أو يرشح في الشطر الأول للقافية التي تأتي في الشطر الثاني كقوله:

وحسنا لم تحسن صنيعاً وربما صبوت إلى حسناء سيء صنيعها

يقول ابن الرومي:

قلت لما بدت بعيني شنعاً رب شوهاً في حشا حسناً

يقول إنه لما رأى هذه الخصال التي ظهرت له أساء ظنه بأصدقائه، ولم يكن من شأنه ذلك، وقال: ربما توجد المرأة السيئة في ظل المرأة الحسنة، إذ ربما توجد الخصلة السيئة في ظل الخصال الحسنة.

ليتني ما هتكت عهدك سترًا فثوبت تحت ذاك الغطاء

في البيت السابق كان يتحدث إلى نفسه، ثم انتقل إلى الحديث إلى هذه الخصال.

وأحب أن ألفتكم إلى شيء من الإهمال في هذا البيت وهو قوله "ذات: كأنه يتحدث إلى مفرد، ولكنه يتحدث إلى الجميع ولست أقول إن هذا خطأ فإنه مألوف شائع، ولكني أقول إن فيه إهمالاً في الذوق، وستجدون هذا الإهمال كثيرًا جدًا في شعر ابن الرومي:

قلن: لولا انكشافنا ما تجلت عنك ظلماء شبهة قتماء

يقول: لولا أننا ظهرنا لك ما تجلت عنك هذه الشبهة المظلمة التي تغشتك في صاحبك أبي القاسم.

قلت أعجب بكن من كاسفات كاشفات غواشي الظلماء

قد أفدنتني مع الخبر بالصا حب أن رب كاسف مستضاء

هنا يلم ابن الرومي بالبديع - كاسفات كاشفات (جناس) - كاسف مستضاء (نوع من المطابقة).

قلن: أعجب بمهتد يتمنى أنه لم يزل على عمياء

كنت في شبهة فزالت بنا عنك فأوسعتنا من الإرزاء

وتمنيت أن تكون على الحيـرة تحت العمايلة الطخياء

الخصال هي التي تتحدث إليه، فنقول: عجيب أنك مهتد، ولكنك تتمنى أن تظل حائرًا، مع أننا نكشف عنك الشبهة!

قلت تالله ليس مثلي من ود	ضلالاً وحيرة باهتداء
غير أني وددت ستر صديقي	بدلاً باستفاضة الأنبياء
قلن هذا وهوى فعرج على الحـ	ق وخل الهوى لقلب هواء

أظنكم تلاحظون أن الهوى كثر في هذا البيت:

ليس في الآن تود لخل	أنه الدهر كامن الأدواء
بل من الحق أن تنقر عنها	ن وإلا فأنفت كالبعداء
إن بحث الطبيب عن داء ذي الدا	ء لأسس الشفاء قبل الشفاء
دونك الكشف والعتاب فقوم	بهما كل خلة عوجاء
وإذا ما بدا لك العر يومًا	فتتبع نقابه بالهناء
قلت في ذاك مؤتكن وما المو	ت بمستعذب لدى الأحياء
قلن ما الموت بالكريه إذا كا	بحق فلا تزد في المرء

فأنتم ترون إلى هذا الحوار بين ابن الرومي وبين هذه الخصال من صاحبه وقد كان مغرمًا به مسرورًا من حسن العشرة، وما كان يظهر له من أنه مخلص صحيح الإخلاص، ثم عرضت له حاجة فتقدم فيها إلى أخيه فلم يسعفه ولم يواته، فاستكشف أنه ليس كله حسنًا. وبدت له هذه العيوب شنيعة قبيحة، فأسف لأنه فتش عن صاحبه فبدت له عيوبه، وود لو لم تظهر هذه العيوب، ولكن هذه الخصال نطقت بنفسها وقالت: قد أزلنا عنك الشبهة، وعرفناك حقيقة الصديق. وهذا النحو هو الذي نجده في القصص التمثيلية اليونانية عند "إسكيلوس" أو "سوفوكليس" أو "إيروبيد".

ثم يتحدث ابن الرومي إلى صديقه وصاحبه أبي القاسم في عتاب، فانظروا كيف يستقصى المعاني، ولا يطمئن إلى الإيجاز، وإنما يفصل ويشرف في التفصيل:

يا أخي هبك لم تهب لي من سعد	يك حظًا كسائر البخلاء
أفلا كان منك رد جميل	فيه للنفس راحة من عناء؟
أجزاء الصديق إيطاؤه العش	وة حتى يظل كالعشواء؟
تاركًا سعيه اتطالا على سعد	يك دون الصحاب والشفعاء
كالذي غره السراب بما خيب	ل حتى هراق ما في السقاء

أراد أن يقول لصاحبه: هبك لم ترد أن تجيبني إلى ما طلبت، وهبك لم ترد أن تسعى إلى هذه الحاجة التي كلفتك السعي فيها، أما كان ينبغي أن يجيب جوابًا حسنًا أستطيع أن أطمئن إليه؟ هذا هو المعنى الذي كان يريد أن يقوله وقد فصلته هنا تفصيلًا، ويستطيع الكاتب المجيد أن يوجزه أكثر ما قلت أنا. ولكن ابن الرومي لا يطمئن إلى ذكاء قارئ أو سامع في أن يستكمل المعنى ويتمه إذ ظفر به. ثم يقول بعد ذلك:

يا أبا القاسم الذي كنت أرجو	ه لدهري قطعت متن الرجاء
بكر حاجات من يعدك للشد	ة طورًا وتارة للرخاء
نمت عنها وما لمثلك عذر	عند ذي نهية على الإعفاء
قسما لو سألت أخرى عوانا	لتنمرت لي مع الأعداء
لا أجازيك من غرورك إيا	ي غرورًا وقيت سوء الجزاء

تلاحظون أن في هذه الأبيات، من أول "يا أخي" إلى آخر بيت وقفنا عنده، عذوبة في اللفظ ورفقًا في الحديث نلاحظ فيه العتاب بمعناه الصحيح، هو شيء بين الرضا والسخط، بل هو سخط يلبسه صاحبه ثوب الرضا، هو شيء قريب من الهجاء ولكنه ليس هجاء.

وابن الرومي يجيد هذا الفن إجابة لا حد لها، فهو شديد على صاحبه، ولكنه على شدته هذه رقيق بالحديث. وهو يحس أنه لم يبلغ من الشدة ما ينبغي من صاحبه، فهو بعد أن قال كل ما سمعتم يقول:

بل أرى صدقك الحديث وماذا
ك لبخل عليك بالإغضاء
أنت عيني وليس من حق عيني
غض أجفانها على الأقذاء

فهو يعتذر إذا عن هذا الدرس القاسي الذي سيلقيه على صاحبه، والذي بدأ في إلقاءه منذ حين:

ما بأمثال ما أتيت من الأمم
ر يحل الفتى ذري العلياء
لا ولا يكسب المحامد في الناء
س ولا يشترى جميل الثناء
ليس من حل بالمحل الذي أنـ
ت به من سماحة ووفاء
بذل الوعد للأخلاء سمحاً
وأبى بعد ذاك بذل الغناء
فغدا كالخلاف يورق للعيـ
ن ويأبى الإثمار كل الإباء

انظروا إليه كيف ينتقل من الحديث السهل والعتاب الرقيق والخصومة اللينة، إلى هذا العنف وهذه الشدة في التأنيب والتقريع، حتى يصل إلى أن يقول لصاحبه: إن الذي يريد أن يبلغ العلا، وأ، يكسب المحامد للناس، لا ينبغي أن يأتي من الأمر مثلاً أتيت. وليس هكذا يفعل من بلغ مرتبة في السماحة، يعد ثم لا يفي كأنه الصفصاف يورق للعين حتى يخذعها. ثم لا يتحرج أن يصف صاحبه بالنفاق فيقول:

ليس يرضى الصديق منك ببشر
تحت مخبوره دفين جفاء

وهنا يحس ابن الرومي أنه اشتد على صاحبه، واشتد في الشدة، وغالي حتى ألمه، وهاج حفيظته. وهو مضطر إلى أن يرق، ويصرف صاحبه عن هذا الحديث الخشن الثقيل، فهو يخرج من العتاب إلى نوع من التملق واللفظ، فهو يصف صاحبه.

يا أخى يا أبا الدماثة والرّفـ

ة والظرف والجاء والدهاء.

انظروا إلى هذه الصفات التي جمعها وربتها في هذا البيت بعد هذا التقريع العنيف، هو مضطر إلى أن يخفف من حدة هذا التوبيخ، فيأتي بهذا البيت يجمع فيه كل هذه الصفات الحسنة، وهي هنا أسبه بالدش البارد، ثم لا يكتفى بهذه الصفات بل يفصل فيقول:

أترى الضربة التي هي غيب	خلف خمسين ضربة في وحاء
ثاقب الرأي نافذ الفكر فيها	غير ذي فترة ولا إبطاء
ويلاقيك سبعة فيظاـ	ن على ظهر آلة حدباء
تهزم الجمع أوحدياً وتلوي	بالصناديد أيما إلواء
وتحظ الرجاج بعد الفرازيـ	ن فتزداد شدة استعلاء
ربما هالني وحير عقلي	أخذك اللاعبين بالبأساء
ورضاهم هناك بالنصف والربـ	ع وأدنى رضاك في الإرباء
واحتراس الدهاة منك وإعصا	فك بالأقوياء والضعفاء
عن تدابيرك اللطاف اللواتي	هن أخفى من مستسر الهباء
بل من السر في ضمير محب	أدبته عقوبة الإفشاء

انظروا إلى هذا البيت فهو من أجمل تشبيهات ابن الرومي؛ فهو يريد أن يقول إن نبوغ صاحبه في علب الشطرنج نبوغ خفي دقيق، كأنه السر في ضمي المحب الذي افشى سره مرة، فعوقب على هذا الإفشاء.

فإخال الذي تُدير على القو م حروباً دوائر الأرجاء

ن مَنايَـا وشـيكةَ الإِرداءِ

أَرْضُ عَلَّاتِها بـدماءِ

لكن بـأنفُسِ اللعـباءِ

إن الرِّجالَ غيـرَ النِّساءِ

من جيبِ الغداءِ في الأَعْضاءِ

إلى غايَةٍ مـنَ البغـضاءِ

وأظن افتراسك القـرنَ فالقر

وأرى أن رُقعةَ الأدمِ الأحمر

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج

أنت جديها وغيرك من يلعب

لك مكر يدب في القوم أخفى

أو ديب الملال في مُستهامين

انظروا إلى هذا البيت جيداً " أو مسر القضاء":

إلى مـمن يريدُه بالتواءِ

مُسـتـجـر في لَمّة سـحـماءِ

فاكتست لـونَ رثـة شـمـطاءِ

طـبـا بالقتـلـة النـكـراءِ

ولا مُقبـل على الرُّسـلاءِ

بقـلـبٍ مـصـور مـن ذكـاءِ

وهو يُردى فـوارس الهـيـجـاءِ

هل تـكون العيـون في الأَقـفاءِ

عـيـنٌ يـرى بـها مـن وراة!

أو مـسـر القضاء في ظُـلـم الغيبِ

أوسـرى الشـيب تحت ليل شـبابِ

دب فيها لها ومنها إليها

تقتل الشاه حيث شئت من الرقعة

غير ما ناظر بعينك في الدّست

بل تراها وأنت مستدبر الظهر

ما رأينا سواك قـرنـا يُولـى

رب قوم رأوك ريعوا فقالوا

والفؤاد الذكي للمطرق المعرض

تقرأ الدست ظاهراً فتؤدي جمعيًا كأحفظ القراء

وتلقى الصواب فيما سوى ذاك إذا جار جائر الآراء

هذه الأبيات من أجمل ما قيل في اللغة العربية في لعب الشطرنج، ولكن ابن الرومي من غير شك لم يكن يريد أن يمدح صاحبه، ولا أن يتملقه ببراعته في لعب الشطرنج من حيث إنه بارع ماهر، وإنما هو يتخذ هذا الوصف والثناء ذريعة إلى أن يخفف عن صاحبه حدة هذا التقرع، فهو يريد أن يترضاه وأن تملقه فيصفه بأحب الأشياء إليه وبالشيء الذي يجد فيه هذا الرجل رضا وراحة، وهو مارتته في لعب الشطرنج. ثم يمضي ابن الرومي، فيصف صاحبه بالذكاء وبالذكاء النادر، ويصفه بهذا الذكاء الذي يجمع إلى البراعة استقامة في الخلق، بأنه لا لأي تهالك على السلطان، ولا يتهالك على الثروة. وهو من أجل هذا أعرض عن صحبة الملوك وصحبة المترفين والأمراء. ومن أجل هذا أيضًا ابتعد عن التجارة وربحها. وهو يؤثر حياة هؤلاء الناس الذين يرضون الحياة السهلة اللينة، ولكن بما فيها من ضيق اليد من الترف الميسور، واللذة العقلية، يؤثر هذا على الثروة والجاه، ويمضي في هذا حتى يوقن أنه أرضاه.

فإذا بلغ ابن الرومي من ذلك ما أردا بأن جمل صاحبه على أن يعجب بنفسه وخلقه وفلسفته، إذا بلغ من ذلك ما أراد، وإذا نسي صاحبه ذلك التقرع والتعنيف، عاد بغاية اللين والسهولة وعاتبه وسأله: أترى كل هذه الأشياء التي حدثتك عنها مجتمعة فيك، ثم يعسر عليك بعد ذلك أن تفهم مودتي وصدائتي، وأن تسعى وراء هذه الحاجة التي كلفتك السعي فيها. حتى إذا بلغ من هذا العتاب مأربه اشتد مرة أخرى وعنف صاحبه، ولم يكتف بهذا العنف وهذا التقرع، بل يلتمس قاضيًا، هذا القاضي هو أبو بكر أخو أبي القاسم، فيعرض عليه القضية ويطلب إليه أن يمضي فيه رأيه، ولا يمكن أن يكون فيها إلا عدلا.

فيصور صاحبه أنشع صورة أمام القاضي، فإذا فعل ذلك عاد إليه فاستعطفه بأرق لفظ حلو، وأكد له أنه لم يرد هجاء، إنما يريد عتابًا. ثم تنتهي هذه القصيدة عند هذا الحد، وليست أرى بأسًا أن تسمعوا ما بقي منها بعد هذا التلخص:

فترى أن بلغة معها الراحة خير من ثروة وشقاء

رؤية لا خلج فيها ولولا ذاك لم تأبب صحبة ابن بغاء

وهو موسى وصاحب السيف والجيش وركن الخلافة الغباء

بَعَثَهُ وَاشْتَرَيْتَ عَيْشًا هَنِئًا

وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُوبٍ

وَرَفَضْتَ التَّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرِّيحَ

وَهَذَى الْعَاذِلُونَ مِنْ جِهَةِ الرِّيحِ

أَعْرَضْتَ عَنْهُمْ عَزَائِمَكَ الصَّمَّ

حِينَ لَمْ تَكْتَرِثْ لِقَوْلِ أَخِي

وَإِذَا صَحَّ رَأْيِي ذِي الرَّأْيِ تَنْظُرُ

لَمْ تَتَّبِعْ طَيْبَ عَيْشَةٍ بِفَضُولِ

تَعَبِ النَفْسِ وَالْمَهَانَةِ وَالذَّلَّةِ

بَلْ أَطَعْتَ النَّهْيَ فَفَرَزْتَ بِحَظِّ

رَاحَةِ النَفْسِ وَالصِّيَانَةِ وَالْعَفَةِ

عَالِمًا بِالَّذِي أَخَذْتَ وَأَعْطَيْتَ

جَهْدًا الْعَقْلَ لَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ

غَيْرَ مُسْتَزَلٍّ عَنِ الْوَضَحِ الْأَطْلَسِ

قَائِلًا لِلْمُشِيرِ بِالْكَدْحِ مَهْلًا

رَابِحَ الْبَيْعِ كَيْسًا فِي الشَّرَاءِ

مِنْ الْمُتَسْرِفِينَ وَالْأُمَرَاءِ

وَمَا فِي مَرَاسِمِهَا مِنْ جَدَاءِ

فَخَالِيَتَهُمْ وَطُـوْلُ الْهُذَاءِ

بِأُذُنِ سَمِيعَةِ صَمَاءِ

غَشَّ يَرَى أَنَّهُ مِنَ النَّصَحَاءِ

بَعِيزِي مَشْـوَرَةَ عَوْرَاءِ

دُونَهَا خُبْتُ عَيْشَةَ كَدْرَاءِ

وَالْخُوفِ وَاطْرَاحِ الْحِيَاءِ

قَصُرَتْ عَنْهُ فِطْنَةُ الْأَغْيَاءِ

وَالْأَمْنِ فِي حَيَا وَرَوَاءِ

حَكِيمًا فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ

مَثْلُهُ فَاتٌ أَعْيَنَ الْبَصَرَاءِ

وَالزَّائِفِ الصَّبِيحِ الرُّوَاءِ

مَا اجْتِهَادَ اللَّيْلِ بَعْدَ اكْتِفَاءِ

قَرَّبَ الحَرَصَ مَرَكِبًا لَشَقِيٍّ

مَرَحِبًا بِالْكَفَافِ يَأْتِي هَنِيئًا

ضَلَّةَ لَامِرٍ يُشْمَرُ فِي الْجَمْعِ

دَائِبًا يَكْنَزُ الْقَنَاطِيرَ لِلْوَارِثِ

حَبْذَا كَثْرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَانَتْ

يَعْتَدِي يَرْحَمُ الْأَسِيرَ أَسِيرًا

لَا إِلَى اللَّهِ يَذْهَبُ الْحَائِزُ الْبَائِرُ

يَحْسِبُ الْحِظَّ كُلَّهُ فِي يَدَيْهِ

لَيْسَ فِي أَجْلِ النِّعَمِ لَهُ حَظٌّ

ذَلِكَ الْخَائِبُ الشَّقِيُّ إِنْ كَانَ

حَسِبَ ذِي غَرِيبَةٍ وَرَأَى جَلِيًّا

صَحَّةَ الدِّينِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعَرَضِ

تِلْكَ خَيْرٌ لِعَارِفِ الْخَيْرِ مِمَّا

وَلَهَا مِنْ ذَوِي الْإِصَالَةِ عَشَا

لَيْسَ لِمَكْثَرِ الْمَنْغَصِ عَيْشٌ

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى

إِنَّمَا الْحَرَصُ مَرَكِبُ الْأَشْقِيَاءِ

وَعَلَى الْمُتَعَبَاتِ ذِيلُ الْعَفَاءِ

لَعَيْشٍ مُشْمَرٍ لِلْفَنَاءِ

وَالْعَمَرُ دَائِبٌ فِي انْقِضَاءِ

لِلبِ الْكَنُوزِ كَنْزٌ بَقَاءِ

جَاهِلًا أَنَّهُ مِنَ الْأَسْرَاءِ

جَهْلًا وَلَا إِلَى السَّرَّاءِ

هُوَ مِنْهُ عَلَى مَدَى الْجَوَازِ

وَمَا ذَاتُ عَاجِلِ النِّعْمَاءِ

يَرَى أَنَّهُ مِنَ السَّعْدَاءِ

نَظَرَتْ عَيْنُهُ بَلَا غُلُوءِ

وَإِحْرَارُ مَسْكَةِ الْحَوْبَاءِ

يَجْمَعُ النَّاسُ مِنْ فَضُولِ الثَّرَاءِ

قَ وَلَيْسُوا بِتَابِعِي الْأَهْوَاءِ

إِنَّمَا عَيْشُ عَائِشٍ بِالْهِنَاءِ

عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةِ عَوْصَاءِ

أُتْرِى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جُلِيًّا

ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ

لَا لَعْمَرَ إِلَّا إِلَهُ لَكِنْ تَعَاشَيْتُ

بَلْ تَعَامَيْتُ غَيْرَ أَعْمَى عَنِ الْحَقِّ

طَالَمَا لِي مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَزَ

تَقَلَّتْ حَاجَتِي عَلَيْكَ فَأُضْحَتِ

وَلَهَا مَحْمَلٌ خَفِيفٌ وَلَكِنْ

كَانَ مَقْدَارُ خُرْمَتِي بِكَ فِي

فَتَوَانَيْتُ وَالتَّوَانِي وَطَى الظَّهْرَ

كُنْتُ مِمَّنْ يَرَى التَّشْيِيعَ لَكِنْ

وَلَعْمَرِي لَقَدْ سَعَيْتُ وَلَكِنَّكَ

فَتَنَزَّهُ عَنِ الرِّيَاءِ فَتَعْذِيرُكَ

لَيْسَ يُجْدِي عَلَيْكَ فِي طَلَبِ الْحَاجَاتِ

وَحَسَنَاءُ لَمْ تَحْسَنْ صَنِيعًا وَرَبَّمَا

ظَلَمْتُ حَاجَتِي فَلَاذَتْ بِحَقْوِيكَ

وَقَضَاءُ إِلَهُ أَحْوَطُ لِلنَّاسِ

وَسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الْأَنْحَاءِ

رَبَّمَا عَزَزْتُ مِثْلُ بِالْغَلَاءِ

بَصِيرًا فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءِ

نَهَارًا فِي ضُحَاةِ غَرَاءِ

حَقَّقْتُ الْكَرَامَ لِلْوَمَاءِ

وَهِيَ عِبَاءُ مِنْ فَاحِ الْأَعْبَاءِ

كَانَ حَظِّي لَدَيْكَ دُونَ الْقَاءِ

نَفْسُكَ شَيْئًا مِنْ تَافِهِ الْأَشْيَاءِ

لَكِنَّهُ ذَمِّمِ الْوُطَاءِ

مَلْتُ فِي حَاجَتِي إِلَى الْإِرْجَاءِ

عَذَرْتُ بَعْدَ طَوَالِ التَّوَاءِ

فِي السَّعْيِ شَعْبَةً مِنْ رِيَاءِ

جَاءَتْ إِلَّا ذُو نِيَّةٍ وَمُضَاءِ

صَبَوْتُ إِلَى حَسَنَاءِ سَيِّئِ صَنِيعِهَا

فَأَسْأَلُهَا لَكَيْفَ الْقَضَاءِ

مِنَ الْأَمْهَاتِ وَالْآبَاءِ

غير ا، اليقين أضحي مريضًا

ما وجدتُ امرأ يرى أنه يُوقن

لو يصح اليقين ما رغب الراغب

وعسيرٌ بلوغُ هاتكي جدا

كنت مستوحشًا فأظهرتَ بخسًا

وعزيز على عضيك باللوم،

أنت أدويتَ صدر خلك فاعذره

لا تلومنَّ لائمًا وع اللوماء

إن تكن لفحةً أصابتك من غذلي

يا ابا بكر المشار إليه

قد جعلنا جاكمًا فاقض بالحق

تأخذ الحق للمحق وتتهى

ليس يُؤتي الخصمان من جنف فيك

هل ترى ما أتى أخوك أبو القاسم

لم حقوق عليه أصبحت يُلويها

لستُ أعتدّ لي عليه يدًا

مرضًا باطنًا شديدًا الخفاء

إلا وفيه شُوب امتراء

إلا إلى مليك السماء

تلك عليا مراتب الأنبياء

زادني وحشةً من الخطاء

وكن أصبتَ صدري بداء

على النفث إنه كالدواء

في كُنه موضع اللوماء

فعما قدحت في الأحشاء

بانقطاع القرين في الأدباء

وما زلت حكام الظرفاء

عن ركوب العداء أهل العداء

ولا من جهالة وغباء

في حاجتي بعين ارتضاء؟

فطالبه لي بوشك الأداء

بيضاء غير المودة البيضاء

لمهم أجاب أولى الدعاء

من ذات نفسه السواء

أفديك يا عزيز الفداء

وجميل تعاتب الأكفاء

حاضر الصفح، واسع الإعفاء

والصدر غير ذي الشحناء

فيك اتساعاً فإنها كالفضاء

المد لها مدة بغير انتهاء

عديك أول الفهماء

تدعو العتاب باسم الهجاء

صاحباً غير صفوة الأصفاء

وجهل ملامة الجهلاء

يتعاطى علاج داء عياء

على منزل خلاء قواء

تلك أو أنني أخ لو دعاه

يتقاضى صديقه مثل ما يبذل

وأناديك عائداً يا أب القاسم

قد قضينا لبانة من عتاب

ومع العتب والعتاب فإني

ولك الود كالذي كان من خلك

ولك العذر مثل قافيتي

وتأمل فإنها الف

والذي أطلق اللسان فعاتبتك

لم أخف منك غلطة حين عاتبتك

وأنا المرء لا أسوم عتابي

ذا الحجا منهم وذا الحلم والعلم

إن من لام جاهلاً لطبيب

لست ممن يظل يربع باللوم

فأنتم ترون أن هذه القصيدة، التي هي من أواسط قصائد ابن الرومي، وله كثير خير منها، لو اتسع الوقت لدرستها معكم درساً مفصلاً، تعطينا فكرة واضحة عن ابن الرومي.

مع أن هذه القصيدة لا تكاد تتجاوز تسعة وعشرين ومائة بيت فقد ألم فيها بفنون مختلفة؛ فهو ممدح وو محاور، وهو واصف، وهو بالغ بعبابه حدًا نستطيع أن نقول إنه الهجاء، ولكنه نفسه يقول إنه لا يهجو. وهو على هذا ملم بطائفة غير قليلة من الفنون الشعرية. وهو على هذا حريص أن يرتب قصيدته وألا يرسلها إرسالاً، وإنما هو كأبي تمام يرتب قصيدته ترتيباً منطقياً دقيقاً، فأنتم حينما تقرأونها لا تستطيعون أن تقدموا جزءاً على جزء، إنما تقرأونها كما رتبها هو، وأنتم مضطرون إلى أن تنتقلوا معه من معنى إلى معنى، ومن فصل إلى فصل من فصول القصيدة إلى فصل آخر.

وابن الرومي من أخص الشعراء الذين جعلوا شعرهم فصولاً كالنثر - يقسم قصيدته إلى فصول يبدأ الفصل فيستقصيه ويتمه، ثم ينتقل إلى فصل آخر، ومن حيث إنه يطيل فهذا أظهر في شعره منه في شعر أبي تمام.

إن هذه القصيدة كما ترون على جمعها لكثير من فنون ابن الرومي تصور لنا الخاصة التي يمتاز بها، وهي إسباغ الحياة والحركة على الأشياء والمعاني.

آسف أشد الأسف لأن ساعة أو ساعات لا تكفي لأداء ما كنت أود أن أؤديه. ولكن ما تخسرونه من ضيق الوقت ليس شيئاً؛ فإن ابن الرومي ظل طول العصور مضطهداً، فلما جاء هذا العصر كوفئ عن صبره أحسن مكافأة، لأنه درس وفكر فيه أكثر ما درس غيره من الشعراء، لا أكاد أستثني إلا المتنبي وأبا العلاء، ودرس دراسة تلائم عصرنا، درسه بنوع خاص الأستاذان العقاد والمازني.

العقاد وابن الرومي

أما العقد فكتب عنه كتاباً هو من غير شك أحسن ما كتب عن ابن الرومي إلى الآن، وإن كان الأستاذ العقد عني بالشاعر أكثر مما عني بالشعر، ولكن هذا نفسه فوز كبير، فشخصية ابن الرومي من أحسن الشخصيات الإنسانية التي يجب أن تدرس. وأنا حين أقول الإنسانية أعني ما أقول، فالباحثون يجب أن يعنوا بابن الرومي لا أقول في الأدب وحده بل في الأدب والفلسفة وعلم النفس. فالأستاذ العقاد في كتابه - على عنايته بالشاعر - قد أحسن إلى ابن الرومي، وأحسن إلى الأدباء المعاصرين إحساناً لا حد له.

المازني وابن الرومي

وعني المازني في مقالاته عن ابن الرومي في كتابه "حاصد الهشيم" عناية اشهد أنها من أقوى العناية، فلا أعرف أنني قرأت شيئاً أروع ولا أمتع من هذه الفصول التي كتبها. والمازني قد يكون أكثر استشهادهً بشعر ابن الرومي من العقاد، ولكنه كالعقاد يقف عند شخصية ابن الرومي أكثر مما يقف عند الجمال والتحليل الفني، والظاهر أنهما يكلفان كلفاً خاصاً بشخصيات الشعراء.

أما أنا فربما عنيت بالشعر أكثر من عنايتي بالشعراء، وربما اتخذت الشاعر وسيلة إلى فهم الشعر، ولذلك أرجو أن تتيح لي الأوقات والظروف أن أدرس مع العقاد والمازني أبين الرومي، ولكن من ناحية شعره وفنه، لا من ناحية شخصه، فأظن أنهما قد بلغا من ذلك فوق ما أريد.